من الأدب (*)

تأليف الأستاذ قدري حمر

مدير معارف الجزيرة

« هذا الكتاب نتاج دراسة تزيد على ثلاثين سنة ، لكن تأليفه تم في شهر واحد ، وما أدري أي آرائه يتصل بما قرأت من الكتب وأيها يتصل بنجوى متجاوبة بين النفس والحياة »

هذا ما بدأ به المؤلف المقدمة التي صدر بها كتابه هذا ليعرفه ويعرف القراء نفسه ، والقراء لا يعنيهم أن يكون كتاب — مهما يبلغ من الضخامة — قد ألف في شهر أو يوم أو نصف قرن بل يعنيهم أن يجدوا فيه ما ينفعهم ويزيد علمهم ولو كان بضع صفحات . وليست التواليف كما بل ماهية و كيفا ، والمعارف تستوي في ذلك فرب عالم خلد باكتشاف قانون واحد أو نظرية واحدة ، ورب شاعر خلد في لغتنا العربية بقصيدة واحدة . والجدة في أسلوب البحث أو في موضوعه أو في اكتشاف حقائق جديدة تضاف إلى ما عرف منه ، وقد يستغني عن الجدة بتبسيط الحقائق وتقريب بعيدها إلى الأذهان ، وهذا الكتاب يخلو من الجدة في أسلوبه ومعلوماته على السواء ، ويكاد يخلو من تبسيط الحقائق وتقريبها .

وهو سبع عشرة مقالة تنقسم قسمين : أحدهما خاص بدرس فكرة أدبية . وثانيهما : خاص بموضوعات من تاريخ الأدب العربي ، والقسم الأول أربع مقالات هذه عناوينها . ما هو الأدب ؟ ، الأدب متعة وقائدة ، الأسلوب ، الابتكار في البيان والقسم الثاني ثلاث عشر مقالة أولاها : عنوانها « العصر » وفيها يتحدث عن الثقافة الإسلامية في الشرق أثناء القرن (١٣١ — ٢٣٢ هـ) تليها اثنتا عشرة مقالة في ثلاث شعراء وكاتب خص كل منهم بثلاث مقالات فأما الشعراء فهم أبو نواس ، وأبو العتاهية ، وأبو تمام ، والمقالة الأولى من من الثلاث الخاصة بكل منهم في ترجمته والثانية في شعره والثالثة في أنواع شعره ، وأما الكاتب فهو ابن المقفع ، والمقالة الأولى من الثلاث الخاصة به في ترجمته ، والثانية في كتابته والثالثة في رسائله وكتبه .

ومقالات النوع الأول الأربع التي تدرس كل منها فكرة مقالات مستقيمة منسقة الآراء تدل على نضوج هذه الفكر في ذهن المؤلف وتثبته منها وإيمانه بها ولا سيما مقالته « الابتكار في البيان » ، ولكن مقالات النوع الثاني الثلاث عشرة في تاريخ الأدب لا تخلو من غموض واضطراب وتفكك : ففي مقالة « العصر » لم يزد المؤلف على إيراد حقائق التاريخ دون دراسة ولا غربلة ولا استنتاج وفي المقالات الخاصة بالأدباء لم يستطع أن يترجم لواحد منهم ترجمة واضحة ولا أن يرسم له صورة بارزة ، ولا أن يربط بين حياته وآثاره ربطاً محكماً مع أن كل جهاده انصب على بيان الصلات ، بين حياة الأديب وإنتاجه شعراً أو نثراً ومن أجل هذا اهتم اهتماماً خاصاً بحياته .

وهذا المنهج — فيما أرى قاطعاً — أقوم المناهج في دراسة الأدباء والفنانين خاصة والناس عامة ، وهو أهدى المناهج وأيسرها لاكتشاف الحقائق الخافية في حياة الإنسان وآثاره على السواء ، وحسن الاستقامة عليه كفيل بأن يعصم الباحث من الشطط ، وقد عصمه الغلط ، فما أفكارنا الخاصة إلا وليدة حياتنا الخاصة : تأخذ عنها وتعطيها ، وتتأثر بها وتؤثر فيها . غير أن المؤلف لم يحسن الاستفادة التامة من هذا المنهج الأقوم ، وإن استحق التقدير لإيثاره إياه على غيره وصدق نيته في الاهتداء به إن قدرت « الأعمال بالنيات » .

ولعل ذلك راجع إلى أن نزعة المؤلف الأدبية سليمة ولكن لا تؤازرها حاسة تاريخية نفاذة ، وإلى أن ذوقه الفني خير من اطلاعه على حقائق التاريخ وخفايا النفوس وفهمها فهماً علمياً صحيحاً ، فإن يكن ذلك فلعل المؤلف منصرف عما خلق له إلى

(*) الطبعة الأولى صفحات الكتاب ٢٣٦ من القطع الكبير طبع في مطبعة أبي الفداء بحماة . يطلب من مكتبة عنوان النجاح بحماة لصاحبه ا مصطفى النعسان ، ومن المؤلف (مدير معارف الجزيرة) . وثمنه ٣ ليرات سورية .

ما خلق ، وفي مقالته « الابتكار في البيان » — وهو خير مقالات الكتاب عندي — غنية له عن الإطالة فيما أريد بيانه .

وفي الكتاب أخطاء تاريخية كقوله (ص ٥٧ — ٥٨) إن عبد الله بن المقفع ترجم أرسطو . ولا دليل على ذلك وكل ما رجحه الباحثون أخيراً أن المترجم هو محمد بن عبد الله بن المقفع ومن الأخطاء قوله إن النظام اعتزل واصل بن عطاء « شيخ المعتزلة » وقال بتخليد صاحب الكبيرة في النار (ص٦٢) وهذا خطأ من وجهين أحدهما أن واصلا أول قائل بهذا المبدأ وثانيهما أنه مات قبل مولد النظام .

ومنها قوله إن أبا نواس رثى الأمون وقد مات قبل الأمون بنحو عشرين سنة ، فلعله يريد الأمين لا الأمون ، ومنها (ص٦٢) ذكره الأشعرية في كلامه في القرن (١٣٢ — ٢٣٢هـ) ولم يولد الأشعري إلا بعد ذلك ولم يظهر متكلما إلا قبيل نهاية القرن الهجري الثالث . ومنها ذهابه إلى أن اسم صاحبة أبي العتاهية عبدة (ص١٥١) وهي عتبة جارية الخليفة المهدي ، وإنما عبدة صاحبة بشار بن برد . وفي الكتاب تحميل للنصوص أكثر مما تحتمل وتوليدها مالا يمكن أن تلد (ص ٩٧ ، ١٠٢) .

وفيه أخطاء ذوقية فمن قصيدة بائية لأبي نواس منها هذا البيت وكلها على منواله :

« يا غراب البين في الشؤ م ومغراب الجنـــابه »

يسمي هذا الشتم هجاء ، والهجاء لا يسمى وهو خال من الفن وإلا لعد كل بذاء هجاء ومن ذلك تعقيبه على قصيدة أبي نواس التي منها:

يا قبـــرا أبرزه مـأتم ينتدب شجوا بين أتراب

بقوله : « وما أرق الحب الذي يطلب الموت الدائم للناس ليرى حبيبته » (ص ١٠٩) وليس قلـــب كهذا بالأرق ولا الرقيق بل هو قلب أناني مناق وحشي . ومنها (ص ١٦٢) وصفه أبا العتاهية بالزاهد ولو اقتصر على وصفه بالتقشف لأصاب فهكذا كان الرجل ، وفرق بين التقشف والزهد ، فليس بالزاهد من كان من أحرص الناس على الحياة والمال وأشحهم بهما .

ومن أخطاء الفهم عده مدحاً بليتي ابن المعذل في أبي تمام وهما :

يا نبي الله في الشـــعـ ـر ، ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الـ ـله مالم تتـــكلم

وهما من الذم المقذع فهو بقوله « يا نبي الله في الشعر » والبيت الثاني يخرجه من الشعراء ، لأن الأنبياء — فيما تعورف — ليسوا شعراء وفيه إشارة إلى الآية الكريمة في النبي « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وفي ندائه « يا عيسى بن مريم » اتهام لأبي تمام بأنه مجهول الأب .

وفي الكتاب قضايا سيقت بلا برهان ، وأحكام قاطعة وهي بين الباحثين محل شك أو رفض ، وفيه اعتماد على نظريات تربوية ونفسانية لم تثبت ثبوتاً قاطعاً ولا راجحاً . وتقسيم أنواع شعر الشاعر إلى حكمة ووصف وهجاء ... منهج قد يصلح للمبتدئين ولكنه لا يغني في البحوث التي تكتب للشداة فضلا عن الناضجين في المعرفة ولاسيما إذا كانت موضع دراسة «تزيد على ثلاثين سنة» كما قال المؤلف في مقدمته .

ويظهر أن المؤلف لم يطلع على ما كتب حديثاً في ابن المقفع وآثاره حتى ما ألف بالعربية أو ترجم إليها وإلا لما قنع بما اقتصر عليه (يراجع كتاب ابن المقفع للدكتور عبد اللطيف حمزه) والجزء الخاص بابن المقفع من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي في كل من كتابيه : تراث الفكر اليوناني ، ومن تاريخ الإلحاد في الإسلام) وفي الكتاب أخطاء لغوية وتركيبية لا شك أنها من قلم المؤلف وأخرى ربما كانت منه أو من التطبيع ، هذا إلى كثير غيرها من التطبيع فبعضه لم يصحح وبعضه صحح في جدول التصويبات آخر الكتاب ولعلنا ظافرون في الجزء الثاني بخير مما وجدنا في هذا الجزء الأول .

(القاهرة) محمد هليفة التونسي

يفيد القاضي والمتقاضي والمحامي والفقيه كتاب

مبادىء في القضاء الشرعي

للأستاذ الزين القاضي

يطلب من دار الرسالة بالقاهرة

ومن الأستاذ علي عبد الله بالمنصورة

وثمنه ٢٠ قرشاً عدا البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء سنة ٤٨ – ١٩٤٩

قد شرعت المصلحة فى الاستعداد لطبع جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء المقبل وذلك اعتباراً من أول نوفمبر سنة ١٩٤٨ .

وفضلاً عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً رهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الاقبال على الإعلان فيها شديد.

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات بالادارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة